حازها د. علي الشاوي المدرس في جامعة قطر من «ميسيسبي» الأمريكية.. رسالة دكتوراه تدعو إلى «ترشيد القبلية»

تأثير قوي للولاء القبلي في قطر على المشاركة السياسية

■ مأمون عياش ■

ثمة دراسات عديدة قام بها باحثون لنيل الدرجات العلمية.. وتزداد صعوبة مثل هذه الدراسات، إذا ما اختار الباحث موضوعاً لم تتم دراسته من قبل بطريقة علمية مناسبة، ولم تكن له مصادر متوافرة في مراكز البحوث العربية والأجنبية، التي يلتحق بها طالب العلم والمعرفة، مما يجعل الباحث يعتمد على المصادر الأولية لجمع مادة البحث.

وموضوع «القبيلة والولاء القبلي والمشاركة السياسية»، وعلاقتها بالدولة، من الموضوعات المهمة، التي لم يتم تناولها بكثرة، لذلك فهناك ندرة في المصادر والدراسات العلمية حوله.

الدكتور علي عبدالهادي الشاوي أستاذ علم الاجتماع السياسي بقسم الاجتماع بجامعة قطر، أنجز دراسة فريدة من نوعها حول «الولاء القبلي والمشاركة السياسية»، حصل من خلالها على درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، وبالتحديد في علم الاجتماع السياسي.

والدراسة التي نال عليها الدكتور الشاوي درجة الدكتوراه في العام الماضي، تضمنت معلومات قيمة، وخلصت إلى نتائج مهمة تدعو إلى ضرورة تحقيق ما أسماه الباحث بـ «ترشيد القبلية»، وان للولاء القبلي في دولة قطر تأثيراً قوياً على المشاركة السياسية.. وفيما يلي ملخص مختصر للدراسة، التي حازت درجة الدكتوراه من جامعة «ميسيسبي» وهي من ابرز الجامعات الأمريكية.

دور أساسي

تلعب القبيلة والقبلية دوراً أساسياً بارزاً في دول الخليج عامة وفي دولة قطر خاصة.

فعند النظر إلى البناء الاجتماعي والسياسي لهذه الدول نجد أنها تشكلت استناداً إلى ركائز وأسس قبلية، فمجموعة من القبائل كانت تتنافس سياسياً واجتماعياً بالجزيرة العربية، فكل مجموعة من القبائل تتحالف ضد مجموعة قبيلة أخرى.

ومن هذا المنطلق تشكلت إمارات سياسية متفرقة على أيدي بعض القبائل العربية التي كان للقبائل دور بارز في تشكيلها.

بالنظر إلى البناء السياسي لدول الخليج العربية نجد أن جميع الأسر الحاكمة تنتمي إلى قبائل عربية عريقة، استطاعت أن تبني لها كياناً سياسياً على مرحلتين:

المرحلة الأولى: تحالفها ومساندتها للقبائل الموالية.

المرحلة الثانية: مساندة بريطانيا للأسر الحاكمة بحمايتهم مع السيطرة على هذه الدول بهدف كونها محميات سياسية فتكون الأسر الحاكمة بمثابة الإدارة السياسية المحلية للدول وتكون لبريطانيا السيطرة على السياسة الخارجية لتلك الدول.

اتخذ الباحث دولة قطر نموذجاً لتطبيق دراسته، لما تتميز به دولة قطر من بناء قبلي قوي لوجود العديد من القبائل العربية المختلفة بأراضيها.

والعصبية القبلية بدورها أخذت مستويات مختلفة، لذلك فهي تكون قوية تارة وضعيفة تارة أخرى، ففي مرحلتي آخر السبعينيات والثمانينيات بدولة قطر كانت لدولة قطر نزعة ودوافع للتحديث الاجتماعي والاقتصادي، لذلك سعت الدولة إلى عدم الاهتمام لما هو تقليدي بما في ذلك البناء القبلي، واستخدمت وسائل عديدة لتوطين القبائل البدوية وذلك رغبة منها في تكوين مجتمع قطري حديث، فنتيجة للازدهار والتقدم الاقتصادي وبناء دولة الرفاهية لم يكن هناك وجود أي من العوامل التي قد تساعد على بروز العصبية القبلية، فليست هناك قلة في الموارد الاقتصادية وإنما هناك حالة من الرفاهية الاجتماعية التي تعيشها القبائل آنذاك.

ولكن بعد حرب الخليج الثانية عام 1990م وظهور بعض الأصوات السياسية التي تنادي بالتحديث السياسي بدول الخليج والدعم الأجنبي لتلك الحركات السياسية بدأت السلطات السياسية تلتفت إلى القبيلة مرة أخرى، لتكسب الولاء القبلي الذي يكون مسانداً لها من اي خطر قد يداهمها.

د. علي عبدالهادي الشاوي

أهمية وهدف الدراسة

إن هدف الباحث هو إلقاء الضوء على الولاء القبلي والمشاركة السياسية، لهذا انفردت هذه الدراسة كأول دراسة تقوم على التطبيقات الكمية «Quantitative» اي استخدام التحليل الإحصائي المتقدم للوصول إلى نتائج متقدمة. فلقد أجري العديد من الدراسات حول القبيلة ولكنها اعتمدت على الإطار النوعي Qualitative، وكان للتطور السياسي والتحديث الديمقراطي ممثلاً بانتخاب اول مجلس بلدي عام 1999م كأول خطوة للمشاركة السياسية في دولة قطر وبروز دور القبيلة من العوامل التي دفعت الباحث لكتابة هذا البحث. ولتطبيق هذه الدراسة اختار الباحث خمس مناطق موزعة جغرافياً لدولة قطر ومعظم سكانها من قبائل عربية مختلفة وكانت العينة المختارة مكونة من ألف شخص وبالتالي لقد حدد الباحث خمسة متغيرات مستقلة Independent Var-iables وهي العمر، التركيز القبلي، الدخل، المستوى التعليمي والتدين.

ومتغيرين تابعين Dependent Variables :

أولاً: الولاء القبلي، ثانياً: المشاركة السياسية «التصويت في المجلس البلدي»، لهذا كان هناك إحدى عشرة فرضية لمعرفة تأثير المتغيرات المستقلة الخمسة على المشاركة السياسية.

أشار الباحث إلى التطور السياسي والاجتماعي لدولة قطر وذلك بالمرحلة التقليدية «ماقبل ظهور النفط» والمرحلة التي تمت بعده «أي ما بعد ظهور النفط».

واستعان الباحث في هذا البحث بالدراسات السابقة ابتداءً من مفهوم القبيلة إلى الدراسات التي أجريت على العلاقة بين القبيلة والدولة، ومن أبرز تلك الدراسات نظرية ابن خلدون حول العصبية التي كان يقصد بها - عصبية القبيلة - فمن الركائز الأساسية التي أشار إليها ولها أثر بالغ في الولاء «العصبية القبلية» التي تستند إلى النظام القرابي والاقتصادي.

فنجد أن البنية القبلية مبنية على علاقات قرابة قوية أدت إلى الولاء والوحدة فيما بينها، أما العامل الاقتصادي فكلما كان أفراد القبيلة يعانون من ندرة للموارد الاقتصادية أدى ذلك إلى ازدياد العصبية القبلية فيما بين أفرادها.

ومن ناحية أخرى نتيجة لقلة الموارد الاقتصادية تكون هناك صراعات قبلية رغبة من كل قبيلة في الحصول على تلك الموارد.

النتائج

نتيجة للتحليل الإحصائي والمعرفي لفرضيات الدراسة وجد الباحث ان متغير العمر له اثر مهم في إيجابية الولاء القبلي، فبالرغم من عدم وضوح هذا المتغير خلال النتائج فإنه من المؤكد أنه كلما زاد عمر الفرد ازداد ولاؤه القبلي لقبيلته.

أما المتغير الثاني فهو التركز السكاني وعلاقته بالولاء القبلي، فكلما كان الفرد يعيش في مدينة أو في حي يكون معظم سكانه من أفراد قبيلته يكون الولاء اشد، ومن حيث الولاء العام للقبيلة أو الأبعاد الأخرى للولاءات القبلية مثل المصاهرة واللجوء للقبيلة لحل مشاكلها.

أما متغير الدخل فهو متوسط من حيث علاقته بالولاء القبلي ويتفق مع ما افتراضه الباحث، فأبناء القبيلة ذوو الدخل المرتفع يكون ولاؤهم متوسطاً ما عدا بعض الولاء المتعلق بالمشاركة والعلاقات القبلية.

أما متغير المستوى التعليمي فقد أتى مطابقاً ومتساوياً مع ما افترضه الباحث حيث ان هناك علاقة سلبية مع الولاء القبلي فكلما كان الفرد لديه مستوى تعليمي عالٍ كان ولاؤه القبلي أقل.

وهذا ينطبق على علاقة هذا المتغير بالولاءات الأخرى التي ذكرت مثل مشاركة القبيلة واختيار السكن وحل المشكلات، فالمتعلمون يلجأون إلى مؤسسات رسمية بدلاً من المؤسسة التقليدية القبلية.

أما متغير الدين وعلاقته بالولاء القبلي فلقد افترض الباحث انه كلما كان الفرد متديناً كان متسامحاً عصبيته لمن هو أكثر تقى لا لمن هو ينتمي لقبيلته، إلا ان ذلك كان لا يتفق مع النتائج فنجد أن للدين أثراً قوياً في ازدياد الولاء القبلي وربما ذلك يكون من منطلق أن القبيلة تعتمد على نظام القرابة ويتخذ الفرد ذلك انطلاقاً من صلة الأرحام مهما يكن لديه ولاء قبلي عنده لقبيلته.

وبعد قياس الولاء القبلي الذي استخدمه الباحث كمتغير مستقل مع المتغيرات الأخرى التي ذكرت ليرى مدى تأثيره على التصويت في انتخابات المجلس البلدي عام 1999م.

سؤال الباحث كان يدور حول لمن اعطيت صوتك في انتخابات المجلس البلدي؟

1- لمرشح من قبيلتي.

2- لمرشح من قبيلة أخرى.

3- لمرشح غير قبلي.

وكانت النتائج مؤيدة ومطابقة لما كان مقترحاً من قبل الباحث، وذلك ان الولاء القبلي كان له تأثير قوي على المشاركة السياسية أي أن الناخبين القطريين أدلوا بأصواتهم استناداً إلى ولائهم القبلي لمرشح الدائرة الانتخابية التي ينتمون إليها.

وبالرغم من أن السعي لبناء مجتمع مدني لدولة قطر فإنه ليست هناك مساحة واضحة لمثل ذلك المجتمع الذي نتطلع إليه والذي يكون المجتمع معتمداً على المشاركة السياسية الحقيقية ويكون للمنظمات السياسية دور بارز ليحقق للأفراد رغباتهم من خلال تلك المنظمات لا من خلال العصبية القبلية، ونستخلص من هذا البحث أن القبيلة مازالت تلعب دوراً سياسياً مهماً بدولة قطر، والتكوين السياسي مازالت تسيطر على مؤسساته القيم والمعايير القبلية.

والسؤال الذي يدور بذهن الباحث اليوم:

ما هو الدور السياسي للقبيلة في السنوات القادمة في ظل دولة الدستور والمؤسسات؟ ونتيجة للرؤى وما توصلت إليه نتائج هذه الدراسة سوف يستمر الدور السياسي للقبيلة في دول الخليج عامة ودولة قطر خاصة، إذا كان لابد من ذلك فعلى المؤسسات الرسمية من جهة والقبيلة من جهة أخرى السعي للوصول إلى ما أسميه «بترشيد القبلية» Ra-tionalization of Tribalism.

وأعني بذلك التركز على الجوانب الإيجابية للقبيلة مثل التماسك القرابي والتراحم.

نشر التعليم والوعي بين الشباب في القبيلة حتى تكون عصبيتهم رشيدة وأعني بذلك لا بأس أن يفتخر الفرد بقبيلته ولكن ليس بذلك الشعور الذي يقلل من شأن الفئات الأخرى.

في حالة الانتخاب على أفراد القبيلة أن يرشحوا الأفضل من الناحية العلمية من أبناء القبيلة لا من ينتمي لبعض الأسر الأكثر مالاً أو مكانةً في القبيلة.

وإذا استطاعت الدولة أن تحقق نوعاً من الرشد في المؤسسات التقليدية وأقصد هنا القبيلة سوف تتكون عندنا مؤسسات حديثة ورشيدة أي وجود مؤسسات تحقق للمواطن حقوقه استناداً إلى مواطنته وكفاءته ليس استناداً إلى أصوله القبلية.

وعلى الدولة المسؤولية الأكبر في المساواة والعدالة الاجتماعية بين القبائل لأن ذلك سوف يحقق الرضا ويقلل من العصبية بدلاً من الصراع والتنافس الذي يحدث لكسب المكانات السياسية والاجتماعية.